

خطيئة تفريط مصر بالعدو المناسب



سعد القرش

اليس أحمق ممن يختلق عدوًا متخيلا، إلا من يفرّط في عدو حقيقى ملائم تماما. وتسعى الدول والأنديَّة الرياضية والمتنافسون في المجالات المختلفة إلى الحفاظ على عدو مقنع جدير بالتحدي، ويليق بمستوى التنافس؛ لضمان استفزاز قدراتهم على التسابق والإبداع الإيجابي، والمدمر أحيانا. أما الطَّمأنينَّة فهي أولىٰ مراحل اليقين، ومقدمة للتأكلُّ الذاتي والتراجع، في حين يتفوق الآخرون.

قييل سقوط الاتحاد السوفيتي، أعدت الولايات المتحدة عدوا بديلا. جهزته في كهوف أفغانستان وأقبية وكالة المخَّابرات المركزية، ثم دسَّته في خاصرة الاتحاد المتداعي، لكي يسهم فى التعجيل بتفكيك أوصال الكيان الأحمر المرتبط بعقود من جولات الحرب الباردة.

ومن أقصى الأرض، ابتعثت أميركا العدو الأخضر، وبالغت في شيطنته، وضخمت قدراته، وأطلقته بعد الاطمئنان إلى إعداد كاميراتها التلفزيونية، لاصطياد تحركاته وإذاعة تصريحات رجاله، لإخافة شبعبها وإيهامه بتربص من وصفتهم بالكارهبن، أعداء الحضارة؛ من أجل التأييد الشعبي لخطط السبطرة ونهب الثروات، تحت غطاء أخلاقي مصطنع اسمه الحرب على الإرهابِّ. ولم يتردد الرئيس الأميركي جورج بوش الابن في وصف غزوه للعراق عام 2003 بأنه حرب صليبية جديدة.



ليست الحرب على الإرهاب مشروعا استراتيجيا يبنى دولة، ويفترض أن تكون هذه الحرب في حجمها الحقيقي، وأن يوضع لها سقف زمنى تقريبي للقضاء على هذا الخطر

ولا تكفُّ إسرائيل عن إطلاق صفة الإرهابي على من يستهدف جنودها القُتلة، ولو بإلقاء حجر رمزي. ولا تستطيع مواصلة دورها الوظيفي القتالي، في خدمة رعاتها الرسميين، ما لم يكن حولها أعداء يسمون "دول الطوق"، واستئناس «الأعداء» بالتوصل إلى سلام تام، ينسف الفكرة

ولكن وجودنا كأعداء لم يؤجل قيام مؤسسات إسرائيل بمهامها تجاه مواطنين مرتزقة مجلوبين من الغرب والشرق، ولا يجمع بينهم إلا الولاء للعقيدة الصهيونية، وينالون حقوقهم في الصحة والتعليم والتنافس علىٰ الحكم، وتبادل السلطة، والترقي في وظائف تؤهلهم لها كفاءاتهم، مع يقظة مؤسسات رقابية تجرّ رؤساء سابقين للوزراء إلىٰ التحقيق والسجن أحيانا. كان لمصر، حتى 1973، عدو صريح

لا يُخفى عداءه إلى الآن، ويُقابل عدوانه الدامي، في قضايا حدودية تزهق فيها أرواح مصريين، بتعقل وصبر غير جميلين. ثم اتجهت البوصلة إلى أشقاء في الغرب والشرق، منذ أعلن أنور السادات عداءه لمعمر القذافي.

في السنوات الأخيرة تواجه مصر تحديا إرهابيا حقيقيا، ولكنه لن ينتهي في ظل استبداد لن يجد مسوِّغا، إذا هُزم الإرهاب نهائيا. كلاهما يغذّى الآخر. ليست الحرب على الإرهاب مشروعا استراتيجيا يبنى دولة، ويفترض أن تكون هذه الحرب في حجمها الحقيقي، وأن يوضع لها سقف زمني تقريبي للقضاء على هذا الخطّر، وألا يتم رهن الحريات والحقوق الشخصية والآمال في العدالة وتحسن الخدمات الصحية والاحتماعية والتعليمية بزوال الإرهاب. ومن المعلوم أن الحروب المستمرة لم تعلق الديمقراطية في

إسرائيل.

سيقول قائل إن مصر في ظل وجود عدو واضح فقدت سيناء في حرب 1967. تلك حقيقة جزئية براد بإطلاقها إعلان الاستسلام، والتسليم . بتُفوق ليسُ حتمية تاريخية، ومنح العدو مفاتيح كل شيء، من التعليم إلىٰ الصناعة والزراعة. وفي جولات الحروب الطويلة يحدث أن تخسر في معركة، مثلما احتل الجيش النازي باريس، ثم دكُ لندن، قبل النهوض الأميركي المشروط بنيل حظ من كعكة ما بعد الحرب.

اقترنت مرحلة اعتماد إسرائيل عدوا لمصر باستقلال القرارين السياسي والاقتصادي، وبلغ معدل النمو الاقتصادي من 1960 إلى 1965، وفقا لتقرير البنك الدولي، 6.6 بالمئة. ومات جمال عبدالناصر ونسبة التضخم حوالي 5 بالمئة، وارتفعت النسبة عام 1975 إلى أكثر من 20 بالمئة. وكانت ديون مصر المدنية والعسكرية عام 1970 أربعة مليارات دولار، وأغلبها كان لتمويل مشروعات إنتاحية. ويعد التبعية بلغت عام 1981 ثلاثين مليار دولار. وفي أكتوبر 1973، وعلى الرغم

من بدء المعركة بأداء قتالي بشبيه المعجزة العسكرية، جاء الأداء السياسي هزيلا يفرّط في العدو؛ ففي دروة المعركة، أرسل السادات إلىٰ هنري كيسنجر يطمئنه بأن مصر لا تعتزم تعميق مدى الاشتباك. وسيحصل كيسنجر على لقب «صديقى» من السادات الذي قهقه، في ضحكة اقترنت بصفقة صفيقة تكفى دليلا على الجهل، قبل توقيع اتفاقية كامب ديفيد، 17 سبتمبر 1978، لقول مناحيم بيغن إن أجداده اليهود بنوا الأهرامات. ويعرف الدارس المبتدئ للآثار وعلم المصريات أن الأهرامات بنيت قبل بضعة قرون من قدوم النبي إبراهيم إلىٰ مصر، في زيارة لم يذكرها إلا ألعهد القديم.

وبالتفريط في العدو تدفقت مساعدات مليارية مشروطة، وتزامنت معها عودة الهيروين وغيره من المواد المخدرة الخطرة إلى مصر. وتخلت الدولة عن أدوارها. ويكفى تقييم هذا الحصاد المرّ بإلقاء نظرة عامة الآن على بؤس التعليم في المدارس المصرية، وصدأ آلات مصانع تأسست في ظل الحروب مع العدو، وتخريب الزراعة في بلد اخترع الزراعة ويستغنى عن خبرات عدوّ نشيا عام 1948.

ففي فيراير 1994 نشرت صحيفة الأهرام وقائع اجتماع دوري في القاهرة بين ممثلي مصر وإسرائيل، وأسفر الاتفاق عن تدريب ألف خريج مصري في إسرائيل، وإيفاد 480 مزارع سنويا، للتعلم من الخبرات الإسرائيلية. واستمرت خطيئة تدمير الزراعة رغم تحذير بحوث مركز المعلومات والتوثيق بالمركز القومي للبحوث عام 1994 من خطورة مستلزمات الإنتاج الزراعي الواردة من إسرائيل على النبات وصحة

العدو الاستراتيجي المثالي لمصر، كان أوضح تمثيلات الظاهرة الصهيونية المضادة لمنطق التاريخ. هو النسخة العصرية من ممالك وحاملات طائرات وجبوش عميلة تفككت عقب انتهاء وظيفتها المؤقتة. أما الزعم بقبول الأمر الواقع، في ظل اختلال ميزان القوى العالمية لغير صالح العرب، فهو قصور في النظر، رؤية وقائعية وليست واقعية.

من نتائج التفريط في العدو الإسرائيلي توجيه إرهابي يشغل رئاسة الوزراء هو بنيامين نتنياهو الشكر إلى عبدالفتاح السيسي، لإرساله مروحيتين للمشباركة في إطفاء الحرائق في القدس ومستعمرات صهيونية في مايو 2019. ولم تتوجه المروحيتان إلى لبنان لإطفاء الحرائق في أكتوبر بحرص الإدارة المصرية على حدائق ومزارع الفلسطينيين التي استولى عليها العدو، والوعى بأهمية الحفاظ عليها، حتىٰ تتحرر البلاد، ويعود إليها أهلها، كاملة غير منقوصة ولو شجرة زيتون.

الانتخابات التشريعية والرئاسية، بحيث تسبق الأولىٰ الثانية، أو بشأن عدم ربط ذلك باجتماع ما يسمى

ماجد كيالي

كاتب سياسي فلسطيني

📗 يشكّل إعلان حركة حماس

موافقتها على تنظيم انتخابات

تشريعية، إثر اللقاء الذي جمع رئيس

مكتبها السياسي إسماعيل هنية مع

حنا ناصر رئيس لجنة الانتخابات

تراجعا عن مواقفها السابقة، فيما

عباس، إن بشئان عدم التزامن بين

القيادة الوطنية".

اعتبرته مجرد مرونة في التعاطي مع

مقترحات الرئيس الفلسطيني محمود

المركزية في غزة (2019/11/26)،

المعنى من ذلك أن حركة حماس قبلت، أو بادرت، بالذهاب إلىٰ منتصف الطريق لملاقاة غريمتها أو منافستها في القيادة والسلطة، حركة فتح، وأن الكرة الآن باتت في ملعب الرئيس محمود عباس، لجّهة إصدار المراسيم التى تتعلق بموعد الانتخابات وكل

الترتيبات المتعلقة بذلك. بيد أننا ونحن نتحدث عن الانتخابات يفترض أن نتذكر أن الكيانات الفلسطينية (المنظمة و السلطة) تقف منذ سنو ات عديدة أمام استحقاق الشرعية، ولاسيما

الانتخابات كمخرج مؤقّت من الأزمة الفلسطينية التشريعي، فكلاهما انتهت ولايته منذ تسعة أعوام، علما أن المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية اتخذ مرات عديدة قرارا بإجراء الانتخابات

> إلا أن ذلك لم يحصل؛ هذا أولا. ثانيا، ما يفترض الانتباه إليه أن القبول بالعملية الانتخابية شيء والرضوخ لنتائج تلك العملية شيء أخر، لاسيما أنناً نتحدث في واقع تحولت فيه الحركتان الرئيستان في العمل الفلسطيني إلىٰ سلطة كل في مجالها الإقليمي، حيث فتح في الضفة وحماس في غزة.

> لذا يبدو من الصعب الاقتناع أن واحدة منهما يمكن أن تتنازل للأخرى، وفقا للنتائج التي يمكن أن تتمخض عنها صناديق الاقتراع، أخذين في عين الاعتبار التجربة المريرة الناجمة عن الانتخابات السابقة (2006) حيث لم تتنازل فتح لحماس، وحيث تشبثت حماس بالسلطة ما أدى إلى الانقسام. وما يفترض إدراكه هنا أن

> العملية الانتخابية قد تشكل مخرجا من الأزمة السياسية الفلسطينية، المتمثلة بالانقسام والافتقاد للشرعية، ورسم أحجام الفصائل الفلسطينية، وهذا كله بات مهما حدا، لكنها، أي الانتخابات، لا يمكن أن تشكل لوحدها مخرجا للساحة الفلسطينية من الأزمة المستفحلة فيها منذ عقود، كونها أعمق وأشمل وأكثر تأثيرا من أزمتى

تشمل الرؤى والكيانات وأشكال الكفاح والعلاقات الداخلية. ورغم كل ما تقدم فإن العملية

الانتخابية أضحت ضرورية جدا، لأنها في حال جرت، وفي حال تم الإقرار بنتائجها، من قبل الفصيلين الرئيسيين . المعندين (السلطتين) فريما تشكل المدخل المناسب، لإعادة بناء البيت الفلسطيني علىٰ أسس جديدة.

على ذلك من الخطأ بمكان المبالغة بالعملية الانتخابية، كما من الخطأ الاستهانة بشانها، بمعنى أنه يفترض أن نميز هنا بين جانبين لأزمة العمل الوطنى الفلسطيني، الجانب الأول، وهو الإجرائي، المتمثل بالانقسام والافتقاد للشرعية. والجانب الثاني الأعمق والأشمل، المتعلق بتآكل وفوات واستهلاك بنئ ورؤى وأشكال عمل الحركة الوطنية الفلسطينية، فهذا الجانب بالتحديد، يحتاج إلىٰ شروط أو معطيات أخرى غير متوفرة الآن.

علىٰ ذلك، فإن الانتخابات في تلك الحال تغدو ضرورية، خصوصاً أن خيار الحوار والتوافق قبل الانتخابات لم يتم تأمينه طوال 12 عاما من الانقسام، رغم كل الحوارات التي جرت ورغم كل اتفاقات إنهاء الانقسام التي تم التوصل إليها فى صنعاء ومكة والدوحة والقاهرة وغزة. والمعنى من ذلك أن الانتخابات وظيفتها وضع حد لحال الانقسام المشين في الساحة الفلسطينية، الحدال العقيم حمل

أحجام القوى، كما بشبأن استعادة الشرعية، وضمنها إعادة القرار للشعب للمشاركة بتقرير الخيارات الوطنية، بدلا

من تركها لهذا الفصيل أو ذاك. حتى تنجح تلك الانتخابات يفترض الانتباه أن تجري وفق قاعدة التمثيل النسبي، وعلى أساس اعتبار الضفة دائرة واحدة وغزة دائرة واحدة، وليس اعتبار كل واحدة منهما عدة دوائر، كما جرى في انتخابات (2006) لأن إحراء الانتخابات على هذا الأساس هو الذي يعطيها طابعها الوطني والسياسي، وهو الذي ينقل إدراكات الفلسطينيين من نطاق العصبيات العائلية والعشائرية والمناطقية إلى النطاق الوطنى، كشعب واحد يواجه تحديات

ويمكن إيراد ملاحظة على غابة الأهمية هنا، ومفادها أن إسرائيل التى جمعت المستوطنين اليهود من شتيّ أنحاء العالم، من بلدان ولغات وثقافات وعادات مختلفة ومتباينة، تنظم انتخاباتها على أساس الدائرة الواحدة، في حين ذهب الفلسطينيون، وهم شعب واحد، ولغة واحدة وعادات وثقافات وقضية واحدة، إلىٰ انتخابات عليٰ أساس دوائر، كأنهم مجرد أسر وعشائر ومناطق، وهذه هي إحدى علامات التخلف أو الإخفاق الفلسطيني في الصراع مع إسرائيل. إذن إلىٰ الانتخابات ولنأمل خيرا

نزعة الحرية الخالصة في العراق



الذين المحتجون الشباب الذين تعرضوا وما زالوا يتعرضون للقتل في العراق، توجيه نداءات استغاثةً إلى الولايات المتحدة. حدث هذا بالرغم من أن أولئك الشباب يدركون جيدا أن الأوضاع في بلدهم ما كانت لتذهب إلى هذا المنعطف السيّئ لولا ما فعلته الولايات المتحدة منذ غزوها العراق عام 2003 وحتى اليوم. فعلوا ذلك لا لأنهم يعرفون أن

الولايات المتحدة قد تخلت عنهم منذ زمن طويل فحسب، بل وأيضا لأنهم أرادوا للتحول الذي ينشدون تحقيقه أن يكون عراقيا خالصا وأن يكون بداية لاستقلال العراق ونأيه عن صراع غامض الأهداف بين إيران والولايات

ولكن لمَ خصّ المحتجون بشعاراتهم المعادية إيران ولم يتعرضوا للولايات المتحدة بشيء؟

لم يقع ذلَّك إلا لأن أولئك الشباب قد لمسوا جيدا حقيقة ولاء النظام الحاكم فى العراق لإيران وتبعيته المطلقة للولى الفقيه فيها وخضوعه لإرادة الحرس الثوري الإيراني.

أما الولايات المتحدة وهي المسؤولة عن تحطيم الدولة العراقية وإزالة الجيش الوطنى فيها واختراع نظام المحاصصة الطائفية والإشراف على حفلة القتل التي شهدها العراق بعد أن سمحت للميليشيات الدينية المتطرفة بالدخول إلى الأراضي العراقية من إيران وسوريا فإن الكلام معها سيكون في وقت لاحق، ذلك لأنه سيتخذ طابعا قانونيا. التخلص من الهيمنة الإيرانية من

خلال إسقاط النظام الحالى هو مفتاح الحل من أجل أن يخرج العراق من الثقب الأسود الذي وقع فيه بعد أن تأكد الشباب من أن ذلك النظام يعتبر عودة العراق إلى مساره بلدا طبيعيا هو بمثابة حل سحري لن يقوى على

استدرج الأوضاع إلى نقطة اللاعودة بعد أن أعلن عن ولائه المطلق للمصالح الإيرانية على حساب مصلحة الشعب العراقى، لا يمكن أن يكون موضع ثقة، لذلك فإن الأمل في قيامه بإصلاح نفسه هو كذبة يُراد من خلالها تنويم الشبعب وإلهاؤه بما لا ينفع والانقاء على الأوضاع كما هي من أجل إحكام السيطرة الإيرانية على العراق. وإذا ما كانت الولايات المتحدة

قد خانت وعود الحرية التي قدمتها

للشعب العراقي يوم احتلت بلاده فإنها لا تزال مدانة بجرائم ضد الإنسانية ارتكبتها في العراق لا يمكن أن تسقط بمرور الزمن. تلك جرائم ينبغي على الولايات المتحدة أن تسرع لدفع ثمنها وهو ثمن لن يكون بالغ التكلفة مقابل ما خسره العراق والعراقيون بسبب الغزو الوحشى وما ترتب عليه من خسائر بشرية ومادية توجت بإلحاق العراق بولاية الفقيه الإيرانية.



المحتجون الشباب الذين تعرضوا وما زالوا يتعرضون للقتل في العراق رفضوا توجيه نداءات استغاثة إلى الولايات المتحدة

لم ينتظر العراقيون عونا أميركيا يشد من أزرهم في مواجهة آلة العنف المحلية المدعومة إيرانيا، غير أنهم توقعوا أن تستدرك الولايات المتحدة أخطاءها وتسعى إلى تصحيحها بعد أن صار العراقيون على بيّنة منها وأن لا تستمر في لعبتها العبثية مع إيران. تلك اللعبة التي افتضح أمرها بعد أن

أظهرت الإدارة الأميركية ميلها إلى أن لا تلحق العقوبات ضررا ببنية النظام الإيرانى وقدرته على الحركة داخل

كان من الواجب على الولايات المتحدة أن تنظر بعين التقدير إلى شعارات الحرية التي رفعها شباب عراقيون عزل من السلاح لا يملكون سوى أصواتهم رغبة منهم في استعادة وطنهم وإنقاذه من براثن الوحش الإيراني التي سحقت أجزاء عزيزة منه. حتىٰ هذه اللحظة وبالرغم من كل هذا القتل الذي تشبهده شوارع وساحات المدن العراقية، لا تزال

الولايات المتحدة غير راغبة في إعادة النظر في موقفها غير الإنساني من الشبعب العراقي. أما الحرية الأميركية المزعومة فقد

صارت جزءا من ماض سحيق، يُخيل إلىٰ الساسة الأميركان أن أحدا لا يتذكره.

لاً أعتقد أن الخيبة التي يسببها الموقف الأميركي-الإيراني ستؤثر سلبا على معنويات المحتجين في العراق بقدر ما ستكون عنصر دفع في اتساع دائرة الاحتجاج بعد أن تأكد الشباب من أن الحقيقة التي دفعتهم إلىٰ مقاومة القتل تكمن في فرض إرادتهم من أجل أن تكون حريتهم عراقية خالصة.